Female voice in wartime The novel (Zeinab, Mary and Yasmin) by Michelle Hadi Analytical narrative study

صوت الأنثى في زمن الحرب رواية (زينب و ماري و ياسمين) لميسلون هادي دراسة سردية تحليلية

أ.م.د رفل حسن طه
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م.ذكريات طالب حسين
جامعة كربلاء – كلية العلوم

ملخص البحث

صوت الأنثى في رواية (زينب و ماري و ياسمين) للروائية العراقية (ميسلون هادي)(*) هو صوت المرأة العراقية في زمن الحرب و الدمار ، صوت مرتفع تجسده شخصيات الرواية النسائية ، ولا سيما بطلتها (ياسمين) في محاولة لإيقاظ المجتمع وتنبيهه في اتجاه الظلم الكبير الذي تعانيه المرأة ، وتحديداً – المرأة العراقية – في ظل تناقضات هذا المجتمع وسلبياته.

و الصوت الأنثوي في الرواية يُفصح – بشكل لافت – عن عالم المرأة في كل أبعاده ، وهو إذ يصف عالم المرأة الخارجي ، وكل ما يحيط بها ، و علاقتها مع الجنس الآخر (الرجل)، وطبيعة تلك العلاقة ، فإنه في الوقت نفسه لا ينسى أن يقف عند حدود عالمها الداخلي ومايَنطوي عليه من ألم و معاناة بسبب الواقع الخارجي الذي يفرض عليها قيوداً تتعدى إطار هذا الواقع لتمس جوهر ذاتها العميقة .

و البحث يحاول الوقوف عند الصورة التي تجلى فيها صوت المرأة (الأنثى) وهو صوت مكثف حاولت الروائية جاهدة إيصاله من خلال أكثر من حدث مرتبط بأكثر من شخصية ابتداءً من جدتها وأمها ومروراً بصديقاتها وأبرزهن (أسامي) التي عاشت تجربة مرّة بسبب الحرب التي أدت إلى خسارة الرجل الذي تحب وانتهاءً بابنتها (زينب) التي أصابها العوق بسبب الحرب ، وذلك من خلال دراسة سردية تحليلية في رواية (زينب و ماري و ياسمين) .

Abstract

The voice of the female in the novel (Zainab, Mary and Yasmin) of the Iraqi novelist (Maysaloun Hadi) (*) is the voice of Iraqi women in times of war and destruction, a high voice embodied by the characters of the female novel, especially her heroine (Yasmin) in an attempt to awaken society and alert him in the direction The great injustice suffered by women, specifically - Iraqi women - in light of the contradictions and disadvantages of this society.

And the female voice in the novel reveals - remarkably - the world of women in all its dimensions, which describes the world of women outside, and all that surrounds them, and their relationship with the opposite sex (man), and the nature of that relationship, at the same time do not forget to stand At the borders of its internal world and the pain and suffering it entails because of external reality, which imposes restrictions that go beyond the framework of this reality to touch the very essence of itself.

The research attempts to stand at the image of the voice of the woman (the female), an intense voice that the novelist tried to convey through more than one event related to more than a personality from her grandmother and mother through her friends and most prominent (Asami) who lived experience once because of the war that led to loss The man she loved and ended up with her daughter (Zeinab), who was disabled by the war, through the study of an analytical narrative in the novel (Zeinab, Mary and Yasmin).

مدخل : صورة المرأة في أدب ميسلون هادي الروائي

لقد بات واضحا انعكاس رؤى الكاتبة الروائية العربية بعامة والعراقية بخاصة وتصوراتها على الشخصية الأنثوية التي تبتغي إخراجها إلى الوجود بقصدية تامة وحرفية واضحة ، الغاية منها الاهتمام بقضايا المرأة وحضورها المجتمعي والثقافي الفاعل ، وكذلك الالتفات إلى ذاتها الأنثوية المليئة بالطاقة ، ولكنها كما يتصورها البعض((طاقة معطلة !)) [1] .

تلك الجدلية المتفاعلة والمتواصلة على مدى العصور حول ذلك الكائن البشري / الأنثى الذي لا يمكن للآخر/ الرجل الاستغناء عنه مطلقا ، هذا فضلا عن محاولاته الدائبة لجعلها تابعا له، فهناك وقت يجعلها فيه مليكته ، ووقت آخر يجعلها قينة له . ولطالما وقفت المرأة إزاء ذلك التعامل موقفاً رافضاً ((في سياق محاولاتها الرامية إلى استكشاف ذاتها العميقة ، وسعيها إلى إسماع صوتها الخاص في ظل مجتمع ذكوري يسعى إلى تهميشها وتذويب كيانها الخاص))[2] ، وبالرغم من تطور المجتمع العربي فالمرأة لا زالت تعاني الكثير بسبب هيمنة الرجل وتسلطه وانعكاس ذلك التسلط على حياتها الاجتماعية وصحتها النفسية .

وفي المجتمع العراقي كانت المرأة ولا تزال تعاني الأمرّين بسبب سوء الأوضاع السياسية والحروب التي مرت بها البلاد ، والتي أضرّت بالعلاقات الاجتماعية والإنسانية بين الناس والتي مسّت العديد من مفاصله أيضاً ، ومن أهم تلك المفاصل الأسرة . ولعل هذا ما أتاح للسرد النسوي العراقي الفرصة للتعبير عن تلك الآلام التي تعانيها المرأة العراقية في ظل كل ما يجري ؛ لا لمجرد رمي اللوم على الحروب وانعكاساتها على الحياة ، بل لإظهار الحقيقة التي تقول بعدم مفارقة الذات الأنثوية لنسيجها الاجتماعي التي تعد عنصرا أساسياً فيه . فقد ((اتسم الأدب النسوي العراقي بنكهة خاصة ، تختلف في مذاقها عن الأدب النسوي العربي والعالمي بسمات كرستها الأحداث الاستثنائية الكبرى التي شهدها العراق))[3] وهذا استلزم من الكاتبة العراقية التركيز في سردياتها على " التلاحم بين (الخاص النسوي) ، و(العام الاجتماعي) ((بوصفهما بنيتين متداخلتين مع نصوص شتى عبر انفتاحه على المعرفي والتاريخي والأيديولوجي إلاّ انه يتمركز حول ثيمة المرأة في تلك النصوص)) [4] ، ذلك التركيز الذي يوجب على الساردة عدم الانشغال بمحورها هي ، محور الذات الأنثى المنشغلة بكينونتها ، والمتمثلة في قضايا الجسد والأنوثة وقهر الرجولة المهيمنة ، والشبقية الجامحة ، فهي – في الواقع – قضايا جانبية خاصة، إذ على المرأة التوجه إلى معالجة مشاكل عصرها ومرحلتها ، لتساهم في معالجة سلبيات واقعها وواقع المجتمع سوية دون انفصال ، فتلك السلبيات قد يكون محور الذات الأنثى من أهمها [5] ، ولعل ذلك ما دفع الروائية العراقية المعروفة ميسلون هادي إلى الاهتمام الواسع بمشاكل المرأة ومحاولاتها الجادة في مواجهة كل ما يتعلق بها من خلال معالجة السلبيات التي وضعت المرأة العراقية في موضع الإهمال والتأخر . وقد عالجت ذلك في اغلب رواياتها ، ومن أهم تلك الروايات التي مزجت بين مشاكل المرأة والتطورات السياسية والاجتماعية التي مست بناء المجتمع العراقي الذي تعرض إلى أزمات ومحن متعددة خرج منها ذاتاً ممزقة مضطربة وأحياناً منقسمة على نفسها .... ،رواية حلم وردي فاتح اللون ، ورواية العالم ناقصا واحد ، ورواية (زينب وماري وياسمين) موضوع دراستنا ، وغيرها من الروايات التي حرصت الكاتبة فيها على إنصاف المرأة من خلال عرض معاناتها الطويلة والمتنوعة الأسباب والغايات .ومن أجل إبراز ذلك الصوت الأنثوي الخافت اقتضت ضرورة البحث أن يقسم على مبحثين ، الأول يتحدث عن صوت الأنثى من الداخل إلى الخارج ، والثاني عن صوت الأنثى من الخارج إلى الداخل :

المبحث الأول : صوت الأنثى من الداخل إلى الخارج

لقد قام عالم رواية (زينب وماري وياسمين) الروائي على شخصية أساسية ساردة بالوكالة هي شخصية ياسمين . فضلا عن وجود شخصيات أنثوية ثانوية شكلت انعطافات مهمة في الرواية ؛ عالجت الكاتبة من خلالها وبشكل غير مباشر ثيمات متنوعة لكنها تصب في الهدف ذاته . فهي رواية الصوت المنفرد التي فيها تسرد الأحداث من وجهة نظر البطل ، ولا يغير من هذا الأمر وجود أكثر من قصة في الرواية التي تندرج ضمن السرد النفسي الحديث الذي ((مازال قادراً على أن يمنحنا صورة متوترة ومتفردة للحياة))[6]، إذ تتعاشق تلك القصص فيما بينها لتدور في رحى الشخصية الساردة التي لا يستبعد مطلقا أن تكون شخصية الكاتب ذاته أو هي نقل لرؤاه وتصوراته الخاصة التي يترجمها على لسان بطل روايته . إذ من ((الشائع افتراضه أن الكاتب لا ينفصل تماما عن المتكلم الذي يختلقه في القصة)) [7] .

إنّ المشاكل التي واجهتها (ياسمين) بطلة رواية ميسلون هادي في حياتها ما هي إلاّ موروث قهري ورثته من أمها التي ربتها (زينب) ومن جدتها (صبيحة) ، اللتين خضعتا كلتيهما إلى أحكام الأعراف والتقاليد الجائرة والمتوارثة في المجتمع العراقي . فـ (زينب) أهديت إلى زوجها السكير (محمد) سدادا لدين، وأمها (صبيحة) كذلك كانت فصلية ** إلى زوجها جد (ياسمين) . تحكي الجدة صبيحة ذلك لياسمين لتحكي لنا ياسمين ذلك بصوتها : **((عندما كبُرتْ وُهبتْ لجدي بعد شجار مسلح قتل فيه أخوه ، والقاتل كان أخاها عندما كان عمرها خمسة عشر عاما فقط))** [8] . تقول ياسمين أيضاً : **((أمي كانت فصلية ابنة فصلية))** [9] ، أما ياسمين فلم تختلف كثيرا عن أمها وجدتها فهي ((تنتمي رمزياً إلى موروث الحزن الشعبي))[10]الذي لم يكن حائلاً دون بروز مرآة الذات عندها . فقد قرر أبوها (محمد) أن يزوجها لابن عمها لولا اكتشافه أنّها ليست ابنته وأنّها ابنة لعائلة أخرى ارمنية . وكان هذا الأمر حجة لماري أم ياسمين الحقيقية عندما حاولت اخذ ياسمين ، بأنّ أباها (محمد) كان سيزوجها في كل الأحوال . فقد تخلى

عنها بسهولة ، خصوصا بعد وفاة زينب . إنّ الانسلاخ الذاتي الذي تعرضت له ياسمين وهي تواجه أصعب المواقف في حياتها لحظة دخولها إلى عائلتها الحقيقية التي فارقتهاعاما فضلت الكاتبة عرضه في أول صفحة من روايتها وهي ترمز إلى الحجاب الذي ركزت عليه كثيرا جاعلة إياه أداة في تقييم الوضع النفسي والاجتماعي لياسمين في حياتها، تقول لها ماري وهي تستقبلها في بيتها :

- _ أين كنت يا ابنتي ؟ ما أحلاك ..تعالي تعالي .

_ دقيقة .

_ ماذا تفعلين ؟ لا تعدلي حجابك ...هذا أبوك وانا أمك .

_ دقيقة .

_ اخلعيه يا ابنتي ...جميعنا اهلك ... هذا أبوك وانا أمك وهذا أخوك أدور ؟

_ لا تخلعيه يا ابنتي .. دعيه .. كما تشائين .[11]

اخلعيه ولا تخلعيه .. قول ماري ثم قول عبد الأحد ....أول ما تواجهه ياسمين !!؟، ولكن في خضم ذلك الموقف العصيب الذي تعرضت له ياسمين هل أدركت انّ كلا القولين يعكسان الحرية واحترام الذات اللذين ستتعامل بهما ياسمين ؟.

إنّ الظلم الذي واجهته (زينب) في حياتها مع زوجها(محمد) الذي لم يتوان يوما عن ضربها أو إهانتها أو إرهابها أمام ابنتها (ياسمين) – التي نالت هي أيضاً ما نالته منه - قد رسم صوراً قاتمة قارة في أعماق ياسمين لم تستطع الانفكاك منها ، أنها صور ((الفقر والقمع الذكوري والضعف الأنثوي والتدين القسري وازدواج المعايير بين الرجل والمرأة)) [12] ، وهذا ما جعلها تقول بان البيوت التي ليس فيها رجال جميلة جدا ... ، وحسدت البنات على موت أبائهن ، وحسدتهن أكثر حينما لا يكون لديهن أخوة ذكور ، ولا يزورهن رجال . [13] .

إنّ تلك الفجوة العميقة التي ترسبت في ذات ياسمين وهي صبية في مقتبل عمرها من كره للجنس الذكري لم تستطع الأيام ولا الظروف التي واتتها عندما انتقلت للعيش مع عائلتها الجديدة أن تعالجها . فالتدهور العائلي الذي واكبته ياسمين منذ صغرها لا يعدَّ سوى امتداد لقهر مجتمعي شامل وممتد ساهمت الظروف التي أصابت المجتمع العراقي بسبب الحروب وويلاتها في تأصيله وتعميقه في الذات الذكورية المتسلطة .

فثيمة الحرب في رواية (زينب وماري وياسمين) أخذت أبعادا أخرى تختلف عن معالجات الكاتبة لها في روايات أخرى اعتمدت عليها اعتمادا أساسياً . فعلى الرغم من أنّ ميسلون هادي لم تجعل الحرب هدفها المباشر بل عالجت أبعادها وتجلياتها الخطيرة على الذات العراقية _رجالا ونساء _ بشكل غير مباشر ، في إشارات أوردتها في تضاعيف الرواية رامزة بين حين وآخر إلى تداعيات الحروب على المجتمعات ، وما يخلفه الفراغ في السلطة من تدهور وتدنّ في الأخلاق ورياء في الدين ، وقهر واستلاب للضعفاء وعلى رأسهم (الأنثى). فقد عالجت الكاتبة تلك القضية المهمة والحرجة من خلال البناء العام للرواية ، ومن خلال الأجواء الخاصة للأحداث بشكل هرمي يبدأ ببناء فكرة الرواية الأساسية على خطأ كبير ارتكب بسبب القصف الذي أدّى إلى تبادل طفلتين تحملان كلاهما اسم ياسمين إحداهما لعائلة مسلمة فقيرة – وهي بطلة روايتنا - ، والثانية لعائلة مسيحية ثرية . لتكتشف عائلة ياسمين المسلمة بعد سبعة عشر عاما - عن طريق الصدفة - ذلك الخطأ الجسيم وما سيترتب عليه من تبعات نفسية عميقة على ياسمين ، ثم تتدرج الأحداث لترسم العاهات الاجتماعية التي خلفتها الانتكاسات السياسية والحروب وعدم الاستقرار .

إنّ ذلك البناء وتلك الصدفة التي رسمتها الكاتبة بقصدية واضحة يدل عليها تشابه أسماء الطفلتين وتقارب أسماء الآباء بين الوالد المسيحي (عبد الأحد) والوالد المسلم (محمد) الذي لم يذكر اسمه على الشريط التعريفي بأسماء المولودين حديثا الذي يوضع حول معصم الطفل ساعة ولادته ، بل كتبوا اسم أبيه (عبد الواحد) لكي تكتمل فصول الصدفة والتوهم . وكذلك اضطرار العائلة المسلمة الفقيرة إلى اللجوء إلى مستشفى الفرح الغالية بسبب القصف ، لتتشابه ملابس الطفلتين أيضاً ، كل ذلك كان بهدف إكمال الثيمة الأساس التي تعلقت بها بقية أحداث الرواية . ولعل ذلك لم يكن على تلك الدرجة من الأهمية في نظر ميسلون هادي حينما عدته مدخلا لكل ما أرادت الحديث عنه من قضايا أهم واخطر ، وعلى رأسها التباين الكبير بين العائلتين من نواح متعددة كالدين والثقافة واحترام الآخر ، فضلا عن اهتمامها الواضح بقضية الفقر وما تلعبه من دور خطير في اضطراب النفوس ونزوعها إلى الشر وإلحاق الأذى بالآخرين .

فمن الواضح جدا اختمار تلك الفكرة وسيطرتها بشكل كبير على ذهن الكاتبة التي فضلت رواية قصتها على لسان ياسمين فقط ، مما أدى إلى انحسار بعض وسائل السرد المهمة كالحوار ، والعقدة الظاهرة التي تؤجج الصراع وتدفع بالأحداث إلى التوتر والتأزم . كل ذلك – في رأينا- لم يشكل عائقا أمام الكاتبة التي اندفعت إلى عالم ياسمين / الأنثى التي حولت مسار حياتها بشكل كامل بعدما تعرضت له من هزّات نفسية عميقة ، أخذت من كينونتها وذاتها ما أخذت !!

إنّ العقد النفسية الكبيرة التي دفعت بوالد ياسمين (محمد) إلى إلحاق الأذى الدائم بياسمين وأمها التي ربتها (زينب) لم يكن مصدرها التركيبة الذكورية المتسلطة التي يحق لها ان تعمل ما تشاء من غير رقيب فقط ، ولكن حاولت الكاتبة إرجاع ذلك إلى أمور أخرى لا تقل أهمية عما سبق ذكره وعلى رأسها الفقر والحروب التي رأت فيها الكاتبة سببا خطيرا في اضطراب الشخصية الذكورية العراقية .

والمتابع لأحداث الرواية يرى أنّ الكاتبة ميسلون هادي قد تعاطفت مع الشخصية الذكورية العراقية في بعض المواقف وحاولت تبرير بعض تصرفاتها حينما ربطت بين الحرب وبين انعكاساتها على الجميع وليس على المرأة فحسب. فقد ذكرت أنّ والد ياسمين (محمد) قد تحدّث مرة وهو في غير وعيه بسبب السكر عن المعاناة الكبيرة التي عاشها وهو عسكري في جبهات القتال في الحرب مع إيران ، وبالأخص حادثة نجاته من الموت بأعجوبة ، بعد أن ذاق الويلات وهو يحاول الفرار من الموت المحتم ، اذ لولا الصدفة لكان في عداد الأموات [14].

وكذلك ما نوهت إليه في نهاية الرواية حينما تكتشف ياسمين أنّ أخاها مصطفى هو عامل نظافة رأته بأم عينها ينظف الشوارع وهي تجوب بسيارة أمها ماري شوارع بغداد . وهو لم يصرح يوما بذلك خوفا من نظرة الآخرين إليه ، رغم أنّ تبعات ذلك العمل كانت تنعكس على ياسمين بالذات حينما كان يعود متأخرا في الليل من عمله ليختلق الحجج كي يضربها ويقلل من احترامها.وقد تأثرت ياسمين كثيرا بسبب ذلك المنظر .

لقد عانت كثيراً عائلة (محمد) بسبب شخصيته المضطربة التي أورثها لابنه مصطفى الذي حذا حذوه في إنزال الأذى والألم في عائلته وبالأخص ياسمين التي دفعت ثمنا غاليا لكونها أنثى أولاً، ولأنها ولدت في تلك العائلة التي لا تحترم المرأة حتى لو كانت هي الأم ذاتها .

ولم تكتف الكاتبة بذلك بل لقد ربطت موضوعة الحرب والهجرة بالتحديد وتأثيرهما على الذات الأنثوية الرقيقة والحساسة في قصة ثانوية أخرى حينما تكتشف ياسمين أنَّ صديقتها الصحفية (أسامي) التي تسكن قرب بيت ماري قد ساهمت الحرب في اخذ حبيبها منها ولزمن طويل لاتعرف عنه شيئا حتى رأت نعيه على قطعة سوداء في احد شوارع بغداد ، فقد كان يلفها الغموض لوقت طويل ،إلاّ إنها كانت مستمعة جيدة لياسمين ومعاناتها مع زوجها (إبراهيم) بعد أن تركتها عائلتها الجديدة (عائلة ماري) مهاجرة إلى كندا وتركت البيت لها ولزوجها (إبراهيم) بعد رفضها السفر معهم .

لكن (أسامي) لم تكن لتفصح لأحد عن سبب ابتعادها عن عنصر الرجال وتأخر زواجها بحجة البقاء مع أبويها بعد أن هجرهم أولادهم الأربعة إلى دول غربية متعددة ، وهذا في حد ذاته إشارة إلى تحمل الأنثى أعباء انهزامية الرجل وأنانيته التي تجعله يترك مسؤولية رعاية أبويه الكبيرين بالسن إلى أخته ، والهجرة إلى دول غربية يمارسون فيها الحرية ليس كما يحلو لهم بل بحدود ما تقره تلك الدول من قوانين وأنظمة تحتم عليه احترام الآخر ولو بقوة القانون ؛ وهو ما اكتشفته ياسمين عن طريق صديقتها تبارك بعد انفصالها عن إبراهيم ، انه كان متزوجا من امرأة سويدية لها صديق سابق من اجل الحصول على الجنسية، ولم يتحمل حريتها وحماية المجتمع لها ولحقوقها ليعود إلى العراق فيمارس عقده وازدواجيته مع ياسمين ، وحينما يصل معها إلى طريق مسدود يحاول كسرها بأخذ ابنتها منها في حين انه ترك ابنته هناك في السويد ؛ ولتكتشف ياسمين أيضاً عن طريق صديقتها تبارك الفرق بين إبراهيم وبين(كافي الكيلاني) الرجل الذي أحبته صديقتها أسامي والذي دفعته وطنيته وشعوره بالمسؤولية إلى ترك حياته والالتحاق بالجيش للدفاع عن بلده حينما قامت الحرب مع إيران ، فيقع أسيراً عند الأعداء لإحدى عشرة سنة دون أي اتصال بأهله وخطيبته أسامي ..**((كلاهما لم يكن يعرف هل الآخر حي أم ميت ؟ كانوا معزولين عن العالم لا يعرفون ما يدور خارج أسوار المعسكر ، ولا يجوز لهم ان يسمعوا الأخبار ، ....كان المفروض بكافي الكيلاني أن يرجع إلى العراق في آذار 1999 ،ولكنه تأخر سنتين إضافيتين قبل أن يعود ليجد أنّ أباه قد توفي ،وأخاه الصغير وأخته الصغرى متزوجان ولديهما أطفال))**[15]. ثم بسبب مرضه يسافر إلى السويد من اجل العلاج فيموت هناك . فتقع مذكراته التي كتبها في الأسر بيد (كاوة) زوج تمارا أخت تبارك – صديقتي ياسمين منذ الصغر- ، فتعطيها لياسمين . أما أسامي التي لم تعرف ذلك كله فقد عاشت الألم والضياع حتى أعطتها ياسمين دفتر مذكراته لتقرأه على مهل ....!!!

لقد حاولت الكاتبة مراراً القول بان الحروب التي تشن على أي بلد تترك إرثا ثقيلا من الهموم والأحزان والجروح لدى الجميع وبالأخص الأنثى التي تتميز برهافة الحس والشعور .... أنها مغلوبة على أمرها ، تحمل وزر كل ما يحدث لتطرح نفساً محطمة مضطربة أحياناً كما حدث مع ياسمين التي بسبب تربيتها في أجواء تلك الأسرة وتسلط والدها بعقده التي خلفتها الحروب أو كانت سببا من أسبابها ، دفعت الثمن غاليا من روحها التي طالما قالت عنها صديقتها تارا - وهي طبيبة نفسية - انه قد تكون مصابة بالفصام أو التوحد من النوع البسيط ، وهذا ما لم تكن ياسمين لتؤمن به ، لأنّها تدرك جيدا أنّ سبب عزلتها وحبها للوحدة عائد إلى ماواجهته من الآلام خصوصا بعد أن فقدت أمها (زينب) شريكتها في العذاب التي كانت الشاهد الحاضر لعذاباتها في حياتها ، والمستمع الأثير لمعاناتها الطويلة بعد وفاتها . وقد عززت الكاتبة ذلك من خلال التركيز على عنصر المكان ، لتكون المقبرة التي دفنت فيها زينب الشاهد على معاناة ياسمين ((**يا لها من وردة .. مثلي أنا عندما أزور المقبرة وأحكي لها ما أشاء، فلا تجيبني سوى بالصمت.. لم يقلل ذلك من راحتي أبداً بل جعلها طيبة المذاق مثل منظر قطعة الأرض لأسامي.. وعندما علمت بأني أزور المقبرة كل عيد ضربت موعداً لي هناك، فكانت أمي موجودة معنا ميتة كما كانت ميتة في الحياة**))[16] ، وكذلك الضد حينما تتحسر ياسمين حين تذكر الظلم الذي تعرضت له زينب وانها لم تر يوما جميلاً في حياتها ، بل الأدهى من هذا حينما شهدت ياسمين بأمّ عينها خيانة أبيها (محمد) لامها (زينب) مع (زمان) أخت (زينب) حينما كانت تأتي لتساعد عائلة أختها الطريحة في المستشفى بسبب عجز كليتيها .

إنّ التفسخ الأخلاقي الذي عانت منه شرائح واسعة من المجتمع العراقي بسبب الحروب والحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق عام 1991 والذي دام ثلاثة عشر عاماً ، ومن ثم تبعات سقوط نظام صدام حسين بعد عام 2003 على يد الأمريكان ، وما تبعه من تدهور امني كبير كان كافيا ليهز الشخصية العراقية ويقلقل من اتزانها وهو أمر طبيعي جداً ، فضلاً عن انعكاسات ذلك كله على ثقافة الفرد العراقي وتحضره . ولكن علينا أن لا نجافي الحقيقة وهي تمكن الهيمنة الذكورية من شخصية الرجل العراقي بفعل نمط التربية ذات النظام العشائري الذي يعم اغلب محافظات الوسط والجنوب مهما حاول إخفاءها وإظهار العكس .

لقد انطلقت الحكاية بصوت صبية تبلغ من العمر سبعة عشر عاما وضعتها الظروف بين خيارين صعبين ... بين حياتين مختلفتين تمام الاختلاف... حياة ذاقت فيها طعم الهوان والذل ..يخفف عنها ذلك وجود أمها زينب ...، وحياة أخرى تمثل الرفاهية والاحترام للذات وهو ما وفره لها والداها الحقيقيان (ماري وعبد الأحد) لكنها حياة باردة لا وجود فيها لزينب ، وكأن زينب أصبحت رمزا لذلك القهر والاستلاب الذي تعاني منه الأنثى ، والذي أصبح بدوره إرثاً لياسمين لا تستطيع التخلص منه ، فكانت تلك مشكلتها حتى بعد أن انتقلت للعيش مع عائلتها الجديدة التي منحتها الاحترام والتقدير ... بين تلك الازدواجية واجهت ياسمين مصيرها ، ولم تكد تغادر شرنقتها التي جعلت من خلع (الحجاب) رمزا لها ، إلاّ لتقع مرة ثانية أسيرة لذلك الواقع القاسي الذي ظنت أنها فارقته باختيارها شريك حياتها بنفسها رغم تحفظ أمها ماري عليه . لتكتشف فيما بعد أنها لم تختر إلاّ حياتها الأولى مع أبيها محمد وأخيها مصطفى ، وكأن خيطا سحريا يسحبها إلى محيطها الذي ولدت فيه لتعود مأساة التسلط الذكوري والتعسف من جديد من قبل زوجها إبراهيم الذي ظنت انه مثقف ومتحضر ، لكنه لم يختلف كثيرا عمن عرفتهم ، فسرعان ماأعادها سيرتها الأولى ، فألبسها الحجاب مرة ثانية بحجة غيرته عليها ، محاولا السيطرة على حياتها بشكل كامل حينما اخلف وعده معها رافضا إكمالها دراستها في الماجستير والدكتوراه بحجة الظروف الأمنية المتدهورة ، لتبقى قعيدة البيت والأوهام ، ويخفت صوتها من جديد .... ذلك الصوت الذي أضحى سوطا يعذبها ولا تستطيع البوح لأحد إلاّ لزينب ((**أصبحت فراشة تمشي على الأرض بلا جناحين ومصيرها محتوم خلال أيام. ودارت الأيام وصار شعري بالنسبة له أهم شؤون حياته على الاطلاق.. أصبح ينظر إليه كما كان ينظر أبي إليه فعرفت أنه سيعصر ياسمين مل خرقة... سيعصرها لكي لاينظر إليها أحد ولا يلتفت إليها في الشارع رجل.. وأصبحت مرآة ميز التواليت أمامي مرة أخرى... لا أنظر إلى نفسي، ولكن أنظر إليها.. إلى ياسمين التي ستعصر خرقة المسح مرة اخرى وتمررها على بلاطات الأرض، كما كانت تفعل زينب، سيكون سرورها أن ترى البلاط نظيفاً، وان ترى القدور تلمع كالمرايا.. وكلما ازداد انحناؤها على الأرض وتدلت خصلة بيضا من شعر أمها زينب أمام عينيها، كانت تزداد شبها بخادمة**))[17].

لقد استمر مسلسل العذاب ومفارقة الذات طويلا ، لم تفارقه ياسمين إلا بعد مدة ليست بالقصيرة ، حينما قررت استعادة ذاتها بمساعدة صديقتها أسامي وطيف أمها زينب التي طالما تمنت أن تطمئن عليها ، ورغم أن ياسمين قد تحدت ذاتها المنكسرة وأكملت طريقها بما تراه هي انه الصواب إلاّ أنها ستظل تلك الأنثى التي كتمت صوتها طويلا لتطلقه بعد أن خدشت حياتها وانكسرت ذاتها وهي تطمح أن تحقق السعادة لابنتها(زينب) التي ظلمتها الحرب كما ظلمت أمها من قبل . تقول ياسمين حينما استذكرت معلمتها التي طلبت من التلميذات أن يكتبن موضوعا عن الأمريكان بعد أن غزوا العراق عام 2003 ، وحينما كانوا يتجولون بكامل عدتهم العسكرية في المدرسة وآذانهم مثقوبة ، حينها لم تعرف ياسمين ماذا تكتب ؟ وكيف تبدأ ؟ ولكنها في النهاية كتبت : ((**إنّ الأمريكي جاء والثقوب في أذنيه ليفتش بيتنا فأكله الذباب**)) [18] ، تعود ياسمين في نهاية الرواية لتستذكر تلك الحادثة وكيف ربطتها بما حصل لابنتها التي اطلقت عليها اسم (زينب) من عوق عقلي بسببهم _ أي الأمريكان _ ، تقول :((**كأني استبقت خوفي منهم لأنهم سرقوا من زينب لحظة أوكسجين واحدة بعد الولادة ...**)) [19] ، وتقول : ((**عندما كنت حاملا في الشهر التاسع شعرت ذات يوم بآلام المخاض بوقت أبكر مما هو متوقع ، وطلبت من زوجي إبراهيم أن يأتي بالقابلة ....رفض زوجي في البداية وأراد اخذي إلى المستشفى ، ولكني عندما ألححت عليه خرج يبحث عنها في المنطقة ...وبينما هو في الخارج ، قرع جرس الباب وجاء الأمريكان من اجل التفتيش فهلعت وارتعبت ...**))[20] .

لقد تعمدت الكاتبة إنهاء القصة بمعاناة جديدة ومستمرة بسبب الحروب وتبعاتها ، فالمفارقة تكمن في خوف ياسمين من الولادة داخل المستشفى كي لا تتبدل ابنتها كما تبدلت هي مع غيرها ، فلم ينقذ ذلك ابنتها زينب من العذاب ، بل جاءت زينب بعلتها تلك_ وهي رمز لعذاب الأنثى غير المتناهي _ لتكمل ما بدأته ياسمين وقبلها زينب وقبل زينب صبيحة وهكذا يستمر مسلسل الظلم بحق الأنثى وان تغيرت إحداثياته وتباينت موضوعاته وأحداثه .

المبحث الثاني : صوت الأنثى من الخارج إلى الداخل

ظهرت تحولات كبيرة في الرواية العراقية بعد احتلال العراق عام 2003 وما نتج عنه من أحداث ألقت بظلالها على الواقع العراقي في مختلف نواحيه ولا سيما الاجتماعية منها، فكانت الرواية خير مجسد لهذا الواقع الذي اتسم بالعنف والقتل والخطف والإرهاب بكل أنواعه وصنوفه، وكان صوت الحرب هو الصوت المرتفع الذي أخذ حيزاً كبيراً في الحياة العراقية ، وانعكس على كل مفردة من مفردات هذه الحياة ، فكان الإنسان هو المتضرر الأول منها في زمن طغت الحرب فيه على الواقع اليومي للحياة العراقية وكثرت فجائعها .

من هنا فإن الرواية العراقية تأثرت بكل هذه التحولات ومثلتها خير تمثيل عندما توغلت في حياة الناس اليومية ، وسردت تفاصيل هذه الحياة التي كانت تضج بالمتناقضات في زمن الحرب والدمار والخراب، لتؤسس لواقعية روائية عراقية تتماهى مع ((الحالة العراقية المعقدة في فضاء من العنف والإرهاب المتمثل بالموت المادي :القتل والخطف والجثث المجهولة، والموت المعنوي المتمثل بالانكسار الذي أعطب الحياة وأمات الأمل والحب فيها))[21].

و يبدو أن هذا العنف اليومي قد تجلى في السرد الروائي الذي أضحى راثياً ((للمكان وللقيم المنهارة وللإنسان الذي أصبح لا قيمة له في أجواء من الاختناق الطائفي والمناطقي والقتل المجاني))[22].

تسعى رواية ميسلون هادي (زينب وماري وياسمين) إلى أن تكون صوتاً معبراً عن الأنثى في العراق ، ذلك الصوت الذي حاولت الحرب أن تخنقه وتفرض عليه قوانينها التي اتسمت بأقسى حالات العنف والتسلط والتدمير والخراب و زرع بذور الخوف في نفس المرأة العراقية التي لم تقدر أن تتجاوز هذا العنف للحرب وتأثيرها الكبير في حياتها وسلوكها ومشاعرها وتفكيرها. ولم يكن هذا الجانب لوحده الذي ترك أثراً على الأنثى في العراق، لكن ما تركته الحرب في المجتمع العراقي وفي سلوكيات أفراده جعل المجتمع هو الآخر يقف بالضد من المرأة ويكون مساهماً في كبت صوتها وسجنها في إطار من العادات والأعراف والتقاليد التي قيدت حريتها وحدت من إبداعها وحرمتها من أبسط حقوقها كإنسان ينبض بالحياة ويرغب أن يتنفسها ، وقد كان للتسلط الذكوري – بشكل أو بآخر – الحيز الأكبر في كبت صوت الأنثى ، وهو ما حاول السرد الروائي أن يبيّنه في رواية (زينب وماري وياسمين) من خلال المسارات السردية لشخصية (ياسمين) بطلة الرواية ، وشخصيات نسائية يظهر صوتهن واضحاً في فصول الرواية ، ليكون هذا الصوت مرآة تعكس صورة الواقع الخارجي لمجتمع مثقل بالحروب والنكبات .

هذا من جانب، و من جانب آخر فإن صوت شخصية المرأة في الرواية كان مرآة لإظهار تأثير هذا الواقع بكل ما يحمله من إيقاع مأساوي حزين وموجع على عالمها الداخلي وما يستوطنه من أحاسيس وعواطف يرافقها رغبات إنسانية ملحة تتحول إلى مجرد أماني وأحلام بسبب عنف الواقع اليومي للمجتمع ومظاهر الحياة اليومية التي تملء الذات الداخلية للمرأة بندب عميقة تظل بسببها هذه الذات في صراع دائم بين شعور يدفعها إلى التعبير عن إنسانيتها في شكل حر بعيد عن قيود يفرضها عليها المجتمع ، وبين قيود المجتمع وقمعه لحريتها وسلبه لإنسانيتها .

تبدأ أحداث رواية (زينب وماري وياسمين) من وصف لمشاعر (فتاة) تجاه المكان الجديد وتغيره الكبير عن مكان سابق عهدته ، و رافقها مدة طويلة من الزمن ، ويبدو أن هذا الاختلاف في المكان الجديد كان له أكثر من انطباع في نفسية الفتاة التي رأت فيه عالماً غريباً عن الواقع الذي عاشته أو عرفته الأمر الذي جعلها تشعر بخوف و غربة من مكان وجدته غير صحيح بالنسبة لها ((**فتغير المكان من ربعة الحوش في منزل زينب إلى صالون كبير وأنيق يغني فيه هيثم يوسف أغنية حزينة ... الجدران تغطيها لوحات وتحفيات ... والسقف تتدلى منه ثريا كبيرة جعلتني أشعر بالحرارة من شدة الوهج الذي تبعثه مصابيحها الصفراء .. أحسست أن الدفء قد قهر وجهي وجعله ذهبياً و ربما أحمر اللون..وإن الساعة التي تتكتك بانتظام ترافقني من مكانها على الجدار، وشجرة الصبار كذلك ترافقني ..))**[23] والفتاة هي (ياسمين) التي تسرد لنا قصتها رواية (زينب وماري وياسمين) ، إذ تحكي الرواية عن ((طفلة اسمها ياسمين ولدت في 29شباط ، أي في السنة التسعينية الكبيسة التي اقترنت وقصف الطائرات الأمريكية لبغداد ففي تلك الليلة حضر مصور فرنسي إلى مستشفى الولادة ليصور مواليد تلك الليلة الفريدة فكان أن حملت الممرضة الأطفال الجدد ، وفي لحظة هرج ومرج القصف الجوّي تم تبديل ياسمين عبد الأحد بياسمين عبد الواحد وهذا ما كشفته أحداث سنوات لاحقة تم فيها تصحيح الخطأ كما تقول الرواية))[24].إذ تستعيد أسرة (عبد الأحد) المسيحية الغنية ابنتهم المفقودة (ياسمين) بعد أن تكتشف من خلال تحليل الدم الذي أجري لها من أجل التبرع لوالدتها زينب بعد ان توقفت كليتها أنها ليست ابنتهم وانها ((**ابنة رجل آخر وأم أخرى والفاصلة بين الاثنتين كانت لحظة واحدة وقطرة دم واحدة ونغزة أبرة واحدة جعلتنا نحن الثلاثة، بعد يوم واحد غرباء عن بعضنا البعض**))[25] . وقد خلف هذا الخطأ أثره في نفس ياسمين التي أضحت منقسمة بين أسرتين وثقافتين الأمر الذي سبب لشخصية ياسمين تداعيات على المستوى النفسي، فبدت وكأنها تعيش بين تناقضين الأول : ماضيها الذي ظل يسكنها ، والآخر: مستقبلها الذي ينتظرها ولم تقدر أن تكون جزءاً منه ((**الكابوس الأكبر كان لايزال جاثماً لقد أصبحت اثنتين ولم أعد أنا ابنة أحد في هذا البيت زينب لم تعد أمي ولا محمد أبي ولا مصطفى أخي .. لسنوات وأنا أتمنى ذلك ، ولطالما تردد ذلك الصوت في رأسي في كل يوم كنت أتوجه فيه إلى بيت تبارك .. فهل استجابت السماء وتحققت الأمنية بهذه الطريقة الغريبة لأستيقظ على هذا الكابوس الأكبر**))[26].

فبعد تلك الأسرة التي ظلت في كنفها مدة طويلة من الزمن كان فيها الأب هو الذي يقوم بإيذاء أمها (زينب) وتعذيبها وكان سبباً لآلامها وحزنها ، حينها لا تجد مفراً من آلامها وأحزانها سوى الحديث مع ابنتها ، فيكون سرد الأم (زينب) سرداً لمعاناة طويلة ذات أبعاد إنسانية تتفاعل معها الابنة وتتماهى مع أحداثها ، وهو ما يؤدي بها إلى النفور من الشخصيات الذكورية (كالأب والأخ) وممارساتهما تجاهها التي تجلت بسلطة العنف والمنع والحبس والضرب خوفاً على شرفهما الذي تم الحرص عليه أكثر من الحرص على المشاعر الإنسانية (لياسمين / الأنثى) التي أضحت بدورها ضحية لهذا العنف الذكوري فقد كانت غالباً ما تعنف بسبب ملابسها وانها تشف عن جسدها وهذا ما جعل الكاتبة ترمز في مواضع كثيرة إلى القميص الأبيض((**الذي كان بأزرار لا تنتهي**))[27] ولعل في ذلك إشارة إلى حالة الارتباك الجنسي الذي لازم ياسمين في علاقتها الجنسية مع زوجها (إبراهيم) الذي كان يصر على تجريدها من ملابسها والنظر إليها في المرآة وقد ترك ذلك الفعل أثره في نفسها وهذا ما دفع الكاتبة إلى التأكيد عليه في أكثر من موضع .

و يبدو أن هذا ما دفع الكاتبة للحديث عن ذلك القهر والاستلاب من خلال الشخصيات التي اختارتها بدقة ، لتجعل منها مرآة يرى من خلالها معاناة الحياة اليومية للمرأة وتحديداً المرأة العراقية ، فكانت هذه المرايا :

1- مرآة الأب : الذي بدت صورته قاتمة وقاسية وبعيدة عن الجمال الحقيقي الذي تمثله الأبوة في معانيها السامية، فقد ظهرت بدلاً عنها السلطة الذكورية في شدتها وقسوتها على الأنثى ، فكانت (زينب) الأم غير الحقيقية لياسمين ضحية لهذا الغرور الذكوري ((**سجنها تحت الأرض ، وجعل كليتها تضمر**))[28] ويكون ذلك السلوك سبباً لنهاية حياتها بعد المعاناة التي تحملتها والقسوة التي فرضت عليها من الأب. وقد انعكست هذه القسوة على الابنة أيضاً (ياسمين) التي كانت تعاني هي الأخرى من سوء المعاملة والتعنيف الذكوري الذي يكون في أكثر الأحيان في تلقيها الضرب لأنها مثلاً حاولت قراءة مجلة فنية ((**لم أعد أتذكر ، من ثلاث سنوات مرّت بين المتوسطة والبكالوريا ، سوى ضرب مبرح ضربه لي أبي لأنه عثر على مجلة فنية بين كتبي**))[29].

2- مرآة الأخ: الذي كان صورة مستنسخة من صورة الأب في العنف والقسوة ((**أخي مصطفى وجد كومة من خصلات الشعر في سلة الزبالة مرة أخرى فأخبر أبي الذي ضربني ..**))[30] إلى جانب تمتعه بالسلطة الكاملة فقد تمتع بالحقوق كافة بوصفه ذكراً في مقابل حرمان الأنثى من أبسط حقوقها ((**و لكن القارب لم يكف الجميع فأخذوا مصطفى وتركوني أعود إلى البيت نظرت إلى القارب وما صعدت إليه .. قالوا لي عودي إلى بيت بيبي صبيحة وانتظرينا هناك.. وأخذوا معهم في القارب أخي مصطفى وقدر الدولمة وترمس الشاي . من القارب توجهت إلى الشاطئ وحالما لمسته قدمي تدفقت أمواجه وغمرت تنورتي الطويلة . أخذت تلك الأمواج ترتفع أكثر وأكثر حتى غمرت ركبتي . شعرت بالخوف من أن يبتلعني الماء وقفت مكاني لا أتحرك .. هكذا.. أنا تراودني الرغبة بالموت كلما شعرت بالانكسار**))[31].

3- مرآة الجدة : في شخصية (بيبي صبيحة) التي قامت بسرد الكثير من الأحداث الماضية لياسمين ، ولا سيما تلك التي حصلت لها ولزينب ولشخصيات أخرى ، وعلى الرغم من أنها تحملت المشاق في حياتها التي لم تكن سهلة بيد انها لم تقدر أن تخرج من الإطار الذي رسمه المجتمع للمرأة وأن تكسر مرآته التي وضعها في داخلها صورة مكبلة بالكثير من القيود المؤلمة . ولم تكتف الجدة بذلك فحسب إنما أرادت أن تضع ياسمين داخل الإطار نفسه ((**و وصفت لبيبي صبيحة ماحدث من أمي زينب في الزورق ، فواستني بالقول إنهم فعلوا ذلك لأن مصطفى هو الرجل وليس أنت .. صحيح إنه صغير ولكنه هو الذي سيمنع أباك من اللغو والغضب بعد العودة من تلك الرحلة. قلت لها ولكنه أصغر مني وهو في العاشرة ، فكيف يكون رجلاً؟ فقالت : لسنا نحن بأفضل من الملك غازي أيام الملوك فعندما علم الملك غازي بأن زوجته الملكة عالية حامل مازح الطبيب قائلاً إذا كان المولود ولداً فسأكافئك بسيارة، وإذا كان بنتاً فسوف أتخلص منك ...**))[32].

4- مرآة الأم زينب : هي مرآة المرأة الضعيفة المنكسرة التي لا تمتلك أن تقول (لا) للقهر الذكوري والاستعباد الملازم لها ، بل هي حتى لا تقدر أن ترفع صوتها ليعبر عن ألمها أو معاناتها ((**لأنها مخلوقة له وحده وتطيعه في كل الأشياء**))[33].

5- مرآة ماري : الأم الحقيقية المسيحية لياسمين ، وهي امرأة من نوع مختلف تماماً عن زينب فهي تمتلك الحرية كاملة وتنعم بالحياة الهادئة المستقرة ، ولها مطلق السيطرة على بيتها و زوجها وعائلتها وبيدها حرية اتخاذ القرارات و رفض كل ما تراه غير مناسب وكلمتها مطاعة من قبل أسرتها .

6- مرآة إبراهيم : شخصية الرجل الذي قررت ياسمين اختياره لتكمل حياتها معه ومن أجله رفضت قرار الهجرة مع عائلتها الأصلية ظناً منها أنه الرجل المناسب الذي سيلبي طموحاتها ويحترم كينونتها وذاتها الأنثوية خلافاً لما هو سائد في المجتمع الذي عانت منه ، لتكتشف بعد ذلك انه صورة أخرى لا تختلف عن الأب المتسلط الذي طالما رفضت صورته وتمنت أن تتخلص منها .

مما تقدم فإن هذه الشخصيات التي كانت أشبه بالمرايا التي ليس لها وجوداً واقعياً بقدر ما هي مفهوم تخيلي يحيط بياسمين/ الأنثى ، وتنعكس صورها على عالمها ، ولا سيما عالمها الداخلي الذي تأثر تأثراً كبيراً بها الأمر الذي نتج عنه تناقض كبير في شخصيتها التي باتت بين نارين ، النار الأولى : هي حبها لزينب وحنينها إليها وتعلقها الشديد بها و رغبتها الملحة بالعودة إلى حضنها ((**كنت**

أكلمك يا زينب ، أجرب أن استمر ابنتك وأنت ميتة .. و وجدت أنني أحبك جداً ولن أحب غيرك))[34] والنار الأخرى : هي صوت داخلي عميق يرفض استكانة زينب وضعفها ويجد في سلبيتها صورة لمرآة لا بد من كسرها ، في مقابل مرآة ماري المستقبل المنشود والطموح الذي تسعى للوصول إليه ، ويظهر أن للمرآة أكثر من بعد رمزي حاولت الكاتبة استثماره للتعبير كثير من الحالات السلبية التي لابد للأنثى أن تتخلص منها بكسر تلك المرايا. من هنا فإننا نستطيع أن نقول إن كل الأصوات التي خرجت من مرايا الشخصيات التي وردت في الرواية يمكن اختزالها في شخصيتين فاعلتين هما : شخصية زينب ، وشخصية ماري ، فكل من هاتين الشخصيتين كان لها الدور الفاعل في أحداث الرواية وبطلتها ياسمين من خلال مارمزت إليه كل منهما داخل السرد الروائي وإن لم يتم اللقاء بين هاتين الشخصيتين لكنهما التقتا من خلال ياسمين وماتركته كل منهما من صورة في ذهنها كانت في ما بعد سبباً لاتخاذها خيار ترك إبراهيم ، ويبدو أن حرية اتخاذ القرارات هو ما تعلمته من ماري ، ومهما كانت نتائج هذه الخيارات فهي اختارت الحل لمأزقها وأزمتها الذي هو مأزق (المرأة) وربما كان – من ناحية أخرى – مأزق العراق ككل.

لقد تأثر العالم الداخلي لياسمين بالأمكنة والأزمنة التي أضحت هي الأخرى نوعاً آخر من القيود التي تقيد ذاتها ، فالمكان الواسع مثلاً يصبح صغيراً وخانقاً كروحها المخنوقة والمسلوبة الإرادة ، ويتجلى ذلك في وصفها لكثير من الأماكن الذي اتسم بنظرتها و رؤيتها الداخلية لهذه الأمكنة اعتماداً على زاوية رؤاها الفكرية والنفسية التي تعبر عن انفعال الذات وعمقها النفسي ذلك أننا في المكان ((لا نواجه فضاءً خاماً بمعنى الكلمة وإنما أجزاء وعناصر منظور إليها بطريقة خاصة))[35] وهذا نجده في وصف ياسمين لكثير من الأمكنة الذي اتسم بالخوف والرعب من هذه الأمكنة ((**لم أشعر بأنني في المكان الصحيح ... كلامها كان بعيداً والصالون أكبر مما ينبغي... والسقف أعلى كذلك ... وأنا أشعر بخوف لم أجربه في حياتي من قبل .. ماذا يجري**))[36] وفي كثير من الاحيان يصبح المكان مخيفاً لياسمين/الأنثى إلى درجة رغبتها أن تعود جنيناً في بطن أمها فهو المكان الأكثر أمناً لها ((**أرض غريبة لا أتعود عليها ولا أحبها فأخاف وأفزع منها أشد الفزع ثم أتمنى لو أظل عالقة في الحبل السري، لكي أبقى جنيناً في بطنها والحبل الغليظ ملتف حولي لايقطعه أحد... يمتد من سرتي إلى المشيمة... مشيمة زينب**))[37]، أمّا المقبرة فقد أخذت مكاناً واسعاً ومؤثراً في الرواية التي لاتخلو من الإشارات الوجودية .

ومن المنطلق نفسه نجد أن الزمن متذبذب في ذات ياسمين ذلك أنه يتبع حالتها النفسية وإحساسها به ، فهي تقول عن ذلك ((**في الصباح أعتقد أن الحياة جميلة ، وفي منتصف النهار أعتقد أنها مملة .. وفي الليل فظيعة في ضوضائها قبل أن أنام**))[38] ، وقد يكون الزمن واقفاً عند نقطة محددة لا يغادرها (في إشارة إلى المقبرة) ليصور مشاعر نفسية استوطنت الذات الأنثوية وأبت أن تغادرها ((**امتد وقوفي هناك سنوات طويلة ، بدأت بيوم الأربعين ولم تنته لحد الآن**))[39] .

وهكذا تبقى الحرب مأساة ياسمين / الأنثى التي كانت وراء كل المعاناة التي تكبدتها وتركت غرسها في كل جوانبها ولا سيما جوانبها الروحية والشعورية ، بيد أن الحرب التي كانت سبباً لكل مآسي الأنثى مازالت مشتعلة وتأبى المغادرة ((**أ ليست الغلطة غلطة الحرب .. وبلاوي الحرب**))[40].

نتائج البحث

في الختام نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

1- اهتمت الكاتبة الروائية العربية والعراقية بخاصة في معالجة قضايا تهم مجتمعها، لتساهم في معالجة سلبيات واقعها و واقع المجتمع سوية دون انفصال، فتلك السلبيات قد يكون محور الذات الأنثى من أهمها .

2- يبدو ان معاناة المرأة في المجتمع العراقي بسبب سوء الأوضاع السياسية والحروب التي مرت بها البلاد ، والتي أضرّت بالعلاقات الاجتماعية والإنسانية بين الناس والتي مسّت العديد من مفاصله أيضاً ، ومن أهم تلك المفاصل الأسرة قد أتاح للسرد النسوي العراقي الفرصة للتعبير عن تلك الآلام التي تعانيها المرأة العراقية في ظل كل ما يجري ؛ لا لمجرد رمي اللوم على الحروب وانعكاساتها على الحياة ، بل لإظهار الحقيقة التي تقول بعدم مفارقة الذات الأنثوية لنسيجها الاجتماعي التي تعد عنصرا أساسياً فيه .

3- عالجت الروائية ميسلون هادي في أغلب رواياتها المشاكل التي تعاني منها المرأة العراقية وحاولت الوقوف عند كل ما يتعلق بها من خلال معالجة السلبيات التي وضعت المرأة العراقية في موضع الإهمال والتأخر، ومن أهم تلك الروايات التي مزجت بين مشاكل المرأة والتطورات السياسية والاجتماعية التي مست بناء المجتمع العراقي الذي تعرض إلى أزمات ومحن متعددة خرج منها ذاتاً ممزقة مضطربة وأحياناً منقسمة على نفسها رواية (زينب وماري وياسمين) موضوع دراستنا فقد حرصت الكاتبة فيها على إبراز صوت المرأة من خلال عرض معاناتها الطويلة والمتنوعة الأسباب والغايات .

4- ركزت الروائية ميسلون هادي في روايتها (زينب وماري وياسمين) على ثيمة الحرب التي أخذت أبعادا أخرى تختلف عن معالجات الكاتبة لها في روايات أخرى اعتمدت عليها اعتمادا أساسياً . فعلى الرغم من أنّ ميسلون هادي لم تجعل الحرب هدفها المباشر بل عالجت أبعادها وتجلياتها الخطيرة على الذات العراقية _رجالا ونساء _ بشكل غير مباشر ، في إشارات

أوردتها في تضاعيف الرواية رامزة بين حين وآخر إلى تداعيات الحروب على المجتمعات ، وما يخلفه الفراغ في السلطة من تدهور وتدنّ في الأخلاق ورياء في الدين ، وقهر واستلاب للضعفاء وعلى رأسهم (الأنثى).

5- تعاطفت الكاتبة في الرواية مع الشخصية الذكورية العراقية في بعض المواقف وحاولت تبرير بعض تصرفاتها حينما ربطت بين الحرب وبين انعكاساتها على الجميع وليس على المرأة فحسب .

6- تأثرت الرواية العراقية بالتحولات الكبيرة التي طرأت على المجتمع العراقي بعد احتلال العراق عام 2003 وما نتج عنه من أحداث ألقت بظلالها على الواقع العراقي في مختلف نواحيه ولا سيما الاجتماعية منها، وحاولت التوغل في حياة الناس اليومية ، وسردت تفاصيل هذه الحياة التي كانت تضج بالمتناقضات في زمن الحرب والدمار والخراب لتؤسس لواقعية روائية عراقية تتماهى مع الحالة العراقية المعقدة في فضاء العنف والقتل والارهاب ، وهذا الأمر هو ما حاولت ميسلون هادي أن تتحدث عنه في روايتها (زينب وماري وياسمين) إذ سعت فيها نحو إبراز صوت الأنثى والولوج إلى عالمها (الخارجي والداخلي) بكل أبعاده في زمن طغت فيه الحرب على الواقع اليومي وارتفع صوتها وكثرت فجائعها .

الهوامش

(*) روائية عراقية من مواليد بغداد 1954 عملت في مجال الصحافة الثقافية مدة طويلة من الزمن ثم تفرغت للكتابة الأدبية، فكتبت في القصة والرواية وفي مجال العمود الصحفي وفي الترجمة وأدب الأطفال، ونشرت الكثير من المقالات في مختلف قضايا المرأة، وقد ترجمت بعض قصصها إلى الانكليزية والفرنسية والاسبانية والصينية. وفي المجال الروائي نشرت عدداًمن الروايات منها: العالم ناقصاً واحد، والعيون السود، وحفيد البي بي سي، وحلم وردي فاتح اللون، والحدود البرية، وشاي العروس، ونبوءة فرعون ، وحصلت على الكثير من الجوائز العربية والعراقية منها جائزة كتارا للرواية العربية عن روايتها (العرش والجدول) .

(1) فنارات في القصة والرواية / 247

(2) الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المعاصرة في الوطن العربي/ 2

(3) متغيرات السرد في الرواية العراقية (بحث) / 14

(4) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(5) ينظر، أدب الجسد بين الفن والاسفاف / 52

(6) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، بناء المنظور/ج3 : 53

(7) التداولية والسرد /91

(**) الفصلية : هي ظاهرة شائعة في المجتمع العراقي وتحديداً في المناطق الريفية والعشائرية، وتقوم على منح المرأة كهدية أو دية على أثر مخاصمات ومشاجرات عشائرية تتسبب بقتل بعض الاشخاص من كلا الطرفين ، ويكون منح المرأة حلاً لهذه الخصومات وحقنا لمزيد من الدماء، وهي ظاهرة سلبية بعيدة كل البعد عن الاسلام و روحه .

(8) زينب وماري وياسمين / 71

(9) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(10) الشخصية في رواية زينب وماري وياسمين لميسلون هادي بحث في الموقع والتشكل والدلالة (بحث) / 41

(11) زينب وماري وياسمين /5

(12) الهوية العراقية في انشطارها بين ثقافتين بحث من الانترنت http://www.alhayat.com/Details/471532

(13) زينب وماري وياسمين / 53 - 54

(14) ينظر ، المصدر نفسه / 75 – 76

(15) المصدر نفسه / 172

(16) المصدر نفسه / 196

(17) المصدر نفسه / 116

(18) المصدر نفسه / 198

(18) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(20) المصدر نفسه / 199

(21) تمثلات العنف في الرواية العراقية بعد 2003 ، اطروحة دكتوراه/ 33

(22) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(23) زينب وماري وياسمين / 5

(24) شعرية الطباق في رواية زينب وماري وياسمين ، بحث من الانترنت

http://www.alaalem.com/index.php?aa=news&id22=21180

(25) زينب وماري وياسمين / 35
(26) المصدر نفسه / 39 – 40
(27) المصدر نفسه / 145
(28) المصدر نفسه / 50
(29) المصدر نفسه / 49
(30) المصدر نفسه / الصفحة نفسها
(31) المصدر نفسه / 23
(32) المصدر نفسه / 23 – 24
(33) المصدر نفسه / 50
(34) المصدر نفسه / 46
(35) بنية الشكل الروائي /42
(36) زينب وماري وياسمين / 5
(37) المصدر نفسه / 6 – 7
(38) المصدر نفسه / 10
(39) المصدر نفسه / 30
(40) المصدر نفسه / 44

المصادر

1- الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المعاصرة في الوطن العربي1990-2005 ، اطروحة دكتوراه ، رشا ناصر العلي، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 2009 .
2- أدب الجسد بين الفن والاسفاف دراسة في السرد النسائي ، د.عبد العاطي كيوان، مركز الحضارة العربية، القاهرة ، ط1 ، 2003 .
3- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، بناء المنظور ، د. شجاع مسلم العاني، الجزء الثالث، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ط1 ، 2012 .
4- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي ، ط1، 1990 .
5- التداولية والسرد ،جون ك ادمز ، ترجمة د. خالد سهر ، سلسلة فصلية تصدر دوريا مع كل اصدار لمجلة الأقلام ، بغداد ، ط1 ، 2009 .
6- تمثلات العنف في الرواية العراقية بعد 2003 ، اطروحة دكتوراه، غانم حميد عبودي الزبيدي،جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 2014
7- زينب وماري وياسمين (رواية) ، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان، ط1 ، 2012 .
8- الشخصية في رواية زينب وماري وياسمين لميسلون هادي بحث في الموقع والتشكل والدلالة (بحث)، أ.م.د. عقيل عبد الحسين خلف، مجلة آداب البصرة ، العدد(71) لسنة 2014 .
9- شعرية الطباق في رواية (زينب وماري وياسمين) ،د.فاضل عبود التميمي، العالم:جريدة يومية عراقية تطبع في دار العالم ، السنة الرابعة ، العدد 1368 ، 26تشرين الثاني 2010، بحث من الانترنت http://www.alaalem.com/index.php?aa=news&id22=21180 .
10- فنارات في القصة والرواية، حسب الله يحيى، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط1، 1997.
11- متغيرات السرد في الرواية العراقية 1990 – 2010 الكتابة النسوية (بحث)، أ.م.د.عبد الله حبيب كاظم و م. رواء نعاس محمد ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العدد15، آذار 2014 .
12- الهوية العراقية في انشطارها بين ثقافتين، سلمان زين الدين، بحث من الانترنت http://www.alhayat.com/Details/471532 .